Al-Daleel
مؤسسة الدليل
للدراسات والبحوث العقدية
Al-Daleel Institution
for Doctrinal Studies

# The Creator and the Maker.. A Philosophical Study on the Difference between Divine Creativity and Human Craftsmanship

**Maalik Mahdi Khalsaan al-Suway'idi**
Doctorate in Philosophy and Theology, University of Religions and Sects, Iraq.
E-mail: mikeinzone@yahoo.com

## Abstract

This study aims to elucidate the essential distinction between the Creator and the Maker within an Islamic philosophical framework. It distinguishes between creation (khalq) as bringing into existence from absolute nothingness by means of an independent divine will that depends on no prior material or external cause, and making (sun) as the arrangement and transformation of existing things according to specific knowledge, skill, and purpose. The research demonstrates that this distinction is not merely linguistic but constitutes an ontological distinction pertaining to the nature of existence, an epistemological distinction concerning the boundaries of knowledge and tools, and an ethical distinction relating to responsibility, humility, and gratitude. The research further illustrates that comprehending this difference prevents the conflation of discovery, invention, and genuine creation; defines the horizon of human creativity within its possible limits; establishes a balance between scientific ambition and philosophical humility; prevents self-aggrandizement; enhances awareness of dependence upon the Creator; and deepens the sense of responsibility toward resources, knowledge, and achieved outcomes. The research concludes that preserving this distinction is essential for understanding humanity's place in the universe and directing science and technology toward goodness. It affirms that Islamic philosophy provides a balanced framework that integrates reason, revelation, knowledge, and ethics in a comprehensive manner. The methodology employed in this research is comparative philosophical analysis, wherein the research combines terminological analysis with the comparison of concepts among Muslim philosophers and human reality to arrive at clear and beneficial results for understanding the relationship between creation and making, and their connection to human knowledge, moral capacity, and spiritual awareness.

**Keywords**: The Creator, the Maker, Divine Creativity, Human Craftsmanship, Islamic Philosophy.

-----------------------------------------

Al-Daleel, 2026, Vol. 9, No. 31, PP. 155-175

Received: 12/01/2026; Accepted: 16/02/2026

Publisher: Al-Daleel Institution for Studies and Research

© the author(s)
CC BY NC

Al-Daleel
مؤسسة الدليل للدراسات والبحوث العقدية
Al-Daleel Institution for Doctrinal Studies

# الخالق والصانع.. دراسة فلسفية في الفرق بين الإبداع الإلهي والصناعة البشرية

**مالك مهدي خلصان السويعدي**

دكتوراه في الفلسفة والكلام، جامعة الأديان والمذاهب، العراق.

البريد الإلكتروني: mikeinzone@yahoo.com

## الخلاصة

يهدف هذا البحث إلى بيان الفرق الجوهري بين الخالق والصانع في إطار فلسفي إسلامي، يميّز بين الخلق بوصفه إيجادًا من العدم المطلق بإرادة إلهية مستقلّة لا تعتمد على مادّة سابقة ولا سبب خارجي، وبين الصنع بوصفه ترتيبًا وتحويلًا للموجودات وفق معرفة ومهارة وغرض محدّد. يوضّح البحث أنّ هذا التمييز ليس لغويًّا فقط، بل هو تمييز أنطولوجي يتعلّق بطبيعة الوجود وإبستمولوجي يتعلّق بحدود المعرفة والأدوات، وأخلاقي يتعلّق بالمسؤولية والتواضع والامتنان. كما يبيّن البحث أنّ إدراك هذا الفرق يمنع الخلط بين الاكتشاف والاختراع والإيجاد الحقيقي، ويحدّد أفق الإبداع الإنساني ضمن حدوده الممكنة، ويؤسّس لتوازن بين الطموح العلمي والتواضع الفلسفي، ويمنع الغلوّ في تقدير الذات، ويعزّز الوعي بالاعتماد على الخالق ويعمّق الشعور بالمسؤولية تجاه الموارد والمعرفة والنتائج المتحققة. يخلص البحث إلى أنّ حفظ هذا التمييز ضروري لفهم موقع الإنسان في الكون، وتوجيه العلم والتقنية نحو الخير، ويؤكّد أنّ الفلسفة الإسلامية تقدّم إطارًا متوازنًا يجمع بين العقل والوحي والمعرفة والأخلاق بشكل متكامل. أمّا المنهجية المعتمدة في هذا البحث، فهي منهج التحليل الفلسفي المقارن، حيث يجمع البحث بين تحليل المصطلحات، ومقارنة المفاهيم بين الفلاسفة المسلمين والواقع البشري للوصول إلى نتائج واضحة ومفيدة في فهم العلاقة بين الخلق والصنع، وعلاقتهما بالمعرفة والقدرة الأخلاقية والروحية للإنسان.

**الكلمات المفتاحية**: الخالق، الصانع، الإبداع الإلهي، الصناعة البشرية، الفلسفة الإسلامية.

-------------------------------------------

مجلّة الدليل، 2026، السنة 9، العدد 31، ص. 155 ـ 175

الاستلام: 2026/01/12، القبول: 2026/02/16

الناشر: مؤسّسة الدليل للدراسات والبحوث

© المؤلّف

CC BY

## المقدّمة

تعدّ مسألة الإبداع والصناعة من أهمّ الموضوعات التي شغلت الفلسفة والدين معًا منذ العصور القديمة وحتّى العصر الحديث، فالتمييز بين الإبداع والصناعة البشرية ليس مجرّد مسألة لغوية أو اصطلاحية، بل هو تمييز جوهري يتعلّق بفهم الإنسان لقدرة الله ﷻ وحدوده، وفهمه لدوره وحدود إمكانياته في هذا العالم. فالمبدع هو الذي يخرج الشيء من العدم، ويبتكره ابتكارًا مطلقًا لا يعتمد على شيء مسبق، وهذا يختصّ بالباري ﷻ لقوله تعالى: ﴿**بَدِيعُ السَّمَاوَاتِ وَالْأَرْضِ وَإِذَا قَضَى أَمْرًا فَإِنَّمَا يَقُولُ لَهُ كُن فَيَكُونُ**﴾ [سورة البقرة: 117]، وقد يكون من العدم (كما في بداية نشأة الكون)، وقد يقع على مادّة موجودة مسبقًا وهي (الطين) في قوله تعالى: ﴿**وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي**﴾ [سورة المائدة: 110]، بينما الصانع هو الذي يصنع شيئًا من الموجودات المادّية، مستخدمًا مهارته ومعرفته لترتيب هذه الموادّ وتحويلها إلى شيء جديد، وهذا يشترك فيه الصانع البشري والإله؛ لقوله تعالى: ﴿**صُنْعَ اللَّهِ الَّذِي أَتْقَنَ كُلَّ شَيْءٍ**﴾ [سورة النمل: 88]؛ لأنّ المسألة لها ثلاثة مفاهيم في الفلسفة الإسلامية، وهي: الإبداع والتكوين والاختراع. قال ابن سينا: «الإبداع هو أن يكون من الشيء وجود لغيره متعلّق به فقط دون متوسّط من مادّة أو آلة أو زمان، وما يتقدّمه عدم زماني لم يستغن عن متوسّط، والإبداع أعلى مرتبة من التكوين والإحداث» [ابن سينا، الإشارات والتنبيهات، ص 108].

إنّ إدراك هذا الفرق له أهمّية معرفية كبيرة، فهو يساعد الإنسان على تمييز ما هو إبداع إلهي مطلق عن ما هو صناعة بشرية محدودة، فالفهم الصحيح لمفهوم الإبداع يمكن أن يعزّز الوعي بالقدرة الإلهية المطلقة، ويجعل الإنسان أكثر تواضعًا أمام حدود قدراته، ويحفّزه على الاستفادة من موادّه ومهاراته في الصنع دون مغالاة في تقدير إمكانياته. من هنا تظهر الأهمّية الفلسفية والدينية لدراسة الفرق بين المبدع والصانع، ليس من منظور نظري فقط، بل أيضًا من منظور تطبيقي يربط بين الفكر والعقل والفعل البشري.

ويهدف هذا البحث إلى تقديم دراسة فلسفية شاملة للفرق بين الخالق والصانع، مع التركيز على مفهوم الإبداع الإلهي مقابل الصنع من الموجودات. وسيتمّ تحليل هذه المفاهيم من منظور فلسفة الإسلام، مستعينين بآراء فلاسفة المسلمين، كما يركّز البحث على الأبعاد الإبستمولوجية والأخلاقية لهذه المفاهيم، وكيف يؤثّر فهمها على إدراك الإنسان لموقعه في الكون وحدود قدراته.

وبهذا الإطار، يسعى البحث إلى تقديم صورة متكاملة عن المبدع الإلهي وصفاته مقارنةً بالصانع البشري، مع إبراز الفرق الجوهري بين الإبداع الإلهي المطلق والتركيب البشري المحدود. ويأمل الباحث أن يكون هذا البحث إضافةً معرفيةً مفيدةً للدارسين والمهتمّين بالفلسفة الإسلامية، والفكر الديني والفلسفي، وأن يسهم في توضيح الحدود بين قدرة الله وقدرة الإنسان، مع تعزيز الوعي الإبستمولوجي والأخلاقي بمفاهيم الخلق والصنع.

## المبحث الأوّل: مفهوم الصانع والصنع

يعدّ فهم مفهوم الصانع وفعله المتمثّل في الصنع من الموضوعات الأساسية في الفكر الفلسفي والديني، خصوصًا في الفلسفة الإسلامية وعلم الكلام؛ لما له من أثر كبير في إدراك علاقة الإنسان بالوجود والعالم المادّي، وفهم طبيعة إبداع الإنسان وحدوده مقارنةً بالإبداع الإلهي. فمفهوم الصانع يوضّح القدرة المحدودة للإنسان على التغيير والتحويل، ويكشف عن العلاقة بين الإنسان والموادّ والوسائل التي يستخدمها، وهو مفهوم يربط بين الفكر النظري والتطبيق العملي، وبين الفلسفة والأخلاق، وبين العقل والوحي.

الصانع البشري من منظور فلسفي هو الكائن القادر على تحويل الموادّ الموجودة مسبقًا إلى شيء جديد من خلال مهاراته ومعرفته وخبرته العملية، لكنّه لا يستطيع الإيجاد من العدم. قال ابن سينا: «الإبداع هو أن يكون من الشيء وجود لغيره متعلّق به فقط، دون متوسّط من مادّة أو آلة أو زمان. وما يتقدّمه عدم زماني لم يستغنِ عن متوسّط، فالإبداع أعلى مرتبةً من التكوين والإحداث» [ابن سينا، الإشارات والتنبيهات، ج 3، ص 95]

أقول: إيجاد الشيء إمّا أن يكون بلا واسطة بين الموجِد والموجَد، أو يكون بينهما واسطة، إمّا مادّة أو مدّة أو آلة. والأوّل هو الأبداع، والثاني هو التكوين والأحداث. إذا عرفت الفرق بين الأبداع والتكوين فنقول: الأبداع أعلى مرتبةً وأعظم درجةً من التكوين؛ لأنّ الموجد المستقلّ بالإيجاد، أعظم رتبةً في كونه موجدًا من الموجد الذي لا يستقلّ بذلك، بل يحتاج إلى متوسّط، وإذا كان المعلول حادثًا والعلّة قديمةً، توقّف تأثرها فيه على واسطة لما تقدّم، فإذن نسبة الإبداع إلى واجب الوجود أولى وأحسن من نسبة التكوين إليه، وهذا قياس خطابي. [انظر: ابن سينا، الإشارات والتنبيهات، ج 2، ص 317 و318]

يفهم من قول ابن سينا أنّ الإبداع هو إيجاد الشيء لا عن شيء، أي بلا واسطة فلا يحتاج إلى مادّة، ولا آلة ولا زمان. والصنع هو التأثير في مادّة موجودة، فالصانع مسبوق بمادّة وزمن، وأمّا الابداع فلا يسبقه مادّة ولا زمان، وتبعه بقوله كلّ ما كان فعله في مادّة فهو متغيّر وكلّ متغيّر في زمان، يفهم من قوله بأنّ الصانع البشري يخرج الشيء من القوّة إلى الفعل، ولا يبدع الوجود ابتداءً؟ وهذا ليس نصًّا لقول ابن سينا؛ بل شرح لمعنى كلامه ومقصوده، ويحتاج في فعله إلى مادّة قابلة. فهو مرتبط دومًا بالحدود المادّية والمعرفية للوجود الذي يتعامل معه. بمعنى آخر، الصانع البشري لا يملك القدرة على خلق المادّة نفسها، بل يستفيد ممّا هو موجود، ويحوّله إلى شيء مختلف عن سابقه باستخدام المهارات والأدوات والقدرات العقلية. أمّا الصنع البشري، فهو النتيجة الملموسة لهذا الفعل، أي إنتاج شيء له شكل أو وظيفة جديدة باستخدام الموارد والوسائل المتاحة، وهو فعل يعتمد بشكل جوهري على ما هو موجود بالفعل، وليس على الإبداع المطلق من العدم، بينما الصنع الإلهي إفاضة الصورة على المادّة القابلة، فليس دور الصانع في صنعه هو تحويل الموادّ الموجودة سابقًا فحسب، بل يفيض الصورة على المادّة القابلة، فالصنع يحتاج إلى أمرين: القابل والفاعل، ولكنّ الإبداع يحتاج إلى شيء واحد وهو الفاعل دون القابل.

إنّ الصانع البشري ـ كما توضّحه الفلسفة الإسلامية ـ كائن محدود القدرات، فهو يستطيع فقط إعادة ترتيب الموجودات أو جمعها بطريقة مبتكرة تحقّق وظيفةً أو قيمةً لم تكن موجودةً مسبقًا. هذا التحديد للقدرة البشرية يوضّح الفرق بين الصنع البشري والخلق والإبداع الإلهي؛ إذ يكون الإبداع الإلهي غير محدود ومستقلًّا عن المادّة والزمن والوسائل، ويتمثّل في القدرة على إيجاد الموجودات من العدم، فإيجاد الإلهي يتمثّل إمّا بصورة الصنع، وإمّا بصورة الإبداع، فإمّا يكون مسبوقًا بمدّة ومادّة، وإمّا غير مسبوق بهما، فكلاهما إيجاد الله تعالى، فإيجاده ﷻ يشمل عالَم المفارقات وهو عالم المبدعات، ويشمل عالَم المادّة وهو عالم المصنوعات.

أحد الأمثلة التوضيحية للصنع البشري يمكن ملاحظته في الفنون التقليدية، مثل النحت والخياطة والنجارة؛ إذ يعتمد الحرفي على الموادّ المتاحة أمامه ويحوّلها إلى منتج جديد يحمل بصمته الخاصّة، لكنّه لا يخلق المادّة نفسها. وكذلك في الصناعات الحديثة، مثل إنتاج السيّارات أو الأجهزة الإلكترونية، يعتمد الإنسان على المعرفة التقنية والعلوم التطبيقية لإعادة تشكيل وتجميع الموادّ، لكنّ الموادّ الأساسية ليست من إبداعه، بل موجودة مسبقًا. وعلى مستوى الفنون، يستخدم الفنان أدواتٍ موجودةً مسبقًا، لكنّه ينشئ تأثيراتٍ وجمالياتٍ جديدةً من خلال المهارة البشرية والتفكير

الابتكاري، وهو ما يعكس نوعًا محدودًا من الإبداع، لكنّه يظل بعيدًا عن القدرة على الإبداع المطلق أو الخلق من العدم.

يمتاز الصنع البشري بعدّة خصائص تميّزه عن الإبداع الإلهي:

أوّلًا: يعتمد على الموادّ الموجودة مسبقًا. قال الفارابي: «الصناعة هي هيئة في النفس يقتدر بها الإنسان على إحداث شيء في مادّة موجودة على وجه مخصوص» [الفارابي، إحصاء العلوم، ص 67]. فهو فعل مرتبط بالوجود المادّي الذي يمكن لمسه ورؤيته.

ثانيًا: الصنع قابل للتكرار والمحاكاة، بمعنى أنّه إذا توفّرت المعرفة والمهارة والموادّ نفسها، يمكن إعادة إنتاج المنتج أو الفعل نفسه، وهو ما نلاحظه عند الصنّاع والحرفيين والعلماء عند استخدامهم أدواتٍ وتقنياتٍ معروفةً.

ثالثًا: الصانع البشري محدود في قدراته، فهو مرتبط بما هو متاح أمامه من معرفة وموادّ وأدوات، ولا يمكنه تجاوز حدود المادّة أو القدرة الطبيعية. ومن هنا يتّضح الفرق العميق بين الصنع والإبداع الإلهي؛ إذ إنّ الخلق الإلهي مستقلٌّ تمامًا عن المادّة والزمن والسبب، ويتميّز بالقدرة المطلقة والإبداع الفريد الذي لا يمكن محاكاته أو تكراره.

في الفلسفة الإسلامية، اعتُبر الصنع البشري خطوةً محدودةً ضمن نطاق الإبداع، مقارنةً بالإبداع الإلهي، فقد شدّد الفلاسفة على أنّ الإنسان صانع محدود، وأنّ فهمه للكون وقدرته على تغييره لا يتجاوز ما هو ممكن ضمن الموادّ والموارد المتاحة. ومن هذا المنطلق، تمّ التأكيد على ضرورة تعليم الإنسان حدود قدراته وتشجيعه على التواضع أمام القدرة الإلهية المطلقة، مع الاستفادة القصوى من مهاراته وإمكاناته المحدودة، فالصناعة البشرية ليست مجرّد ترتيب مادّي، بل تحمل بعدًا معرفيًّا وفكريًّا أيضًا؛ إذ يضيف الإنسان بصمته الخاصّة في ترتيب الموادّ ويحقّق وظيفةً أو قيمةً لم تكن موجودة سابقًا. وبالتالي، يقترب الإنسان من نوع محدود من الإبداع، لكنّه يظلّ بعيدًا عن القدرة على الإبداع المطلق أو الخلق من العدم، وهو ما يعكس فلسفة الاعتدال والتوازن في الفكر الإسلامي.

يمكن النظر إلى الصنع البشري على ثلاثة مستويات متكاملة لتوضيح علاقته بالموادّ والقدرة والإبداع.

المستوى الأوّل يشمل الصناعات التقليدية، مثل النحت والخياطة والنجارة؛ إذ يعتمد الحرفي على الموادّ المتاحة أمامه ويحوّلها إلى منتج جديد، لكنّه لا يخلق المادّة نفسها.

المستوى الثاني يشمل الصناعات الحديثة، مثل إنتاج السيارات والأجهزة الإلكترونية؛ إذ يعتمد الإنسان على المعرفة التقنية والعلوم التطبيقية لإعادة تشكيل الموادّ وتجميعها، لكنّ الموادّ الأساسية ليست من إبداعه.

المستوى الثالث يشمل الفنّ الإبداعي والموسيقى والرسم؛ إذ يستخدم الفنّان أدواتٍ موجودةً مسبقًا، لكنّه يخلق تأثيرات وجماليات جديدة من خلال المهارة البشرية والتفكير الابتكاري، وهو ما يمثّل أقصى درجات الصنع الإنساني ضمن حدود الممكن.

للتمييز بين الصنع البشري والإبداع الإلهي أهمّية فلسفية وأخلاقية كبيرة، فالفعل الإلهي مستقلّ بذاته؛ إذ يخلق ما يشاء دون حاجة إلى أيّ موادّ موجودة مسبقًا، وتكون قدرته غير محدودة وغير مقيّدة بالزمن أو الوسائل. أمّا الصانع البشري، فتظلّ قدراته محدودة بالمادّة والمعرفة والمهارات، وهو بحاجة دائمة إلى الموارد المتاحة لتحقيق صناعته. كما أنّ الصنع البشري قابل للتكرار والمحاكاة، بينما الخلق الإلهي فريد وغير قابل للتكرار بالصورة نفسها، ما يجعل إدراك هذا الفرق ضروريًّا لفهم حدود الإنسان وإمكاناته وموقعه الحقيقي في الكون.

إنّ فهم الإنسان للفرق بين الصنع البشري والخلق الإلهي ليس مجرّد مسألة معرفية أو فلسفية، بل يمتدّ ليشمل بعدًا أخلاقيًّا وروحيًّا وفكريًّا، فالإدراك الواضح لهذه الحدود يعزّز التواضع ويمنع الغلوّ في تقدير القدرة الإنسانية، كما يشجع على استخدام الموارد والقدرات المتاحة بحكمة ومسؤولية. ويحفّز هذا الفهم الإنسان على إدراك أنّ الاعتماد على الخالق أساس وجوده، وأنّ جميع الإنجازات البشرية، مهما بلغت من التعقيد، تظلّ ضمن نطاق محدود من الإبداع، محدّدة بالموادّ والمهارات والظروف. كما يسهم هذا الإدراك في توجيه العلوم والفنون والصناعات نحو الخير العامّ، وفي المحافظة على التوازن بين الطموح البشري والتواضع الفلسفي، وبين الفعل الإنساني والإبداع الإلهي، ممّا يعكس جوهر الفلسفة الإسلامية التي تجمع بين العقل والوحي والمعرفة والأخلاق.

وبذلك يتّضح أنّ الصانع البشري - رغم إنجازاته العظيمة في العلوم والفنون والتقنيات - يظلّ مرتبطًا بالمادّة والوسائل الموجودة مسبقًا، ولا يملك القدرة على إيجاد شيء من العدم. إنّ إدراك هذا الفرق ليس مجرّد تمييز فلسفي، بل له أثر عملي وأخلاقي على كيفية تعامل الإنسان مع قدراته، وتقديره للقدرة الإلهية، وتنظيم طموحاته العلمية والفنّية بما ينسجم مع الواقع المادّي والوجودي. وهكذا يصبح الفهم العميق لمفهوم الصانع والصنع جزءًا من وعي الإنسان بموقعه

في الكون، ووسيلة لتحقيق التوازن بين الطموح والإبداع البشري والاعتماد على الخالق، مع تعزيز مسؤولية الإنسان تجاه ما يمتلكه من معرفة وموارد، وتوجيه هذا الوعي نحو خدمة المجتمع والبشرية بشكل عامّ.

كما أنّ إدراك العلاقة بين الصانع والصنع يعزّز من الحسّ النقدي والفلسفي لدى الإنسان، فهو يدرك أنّ كلّ فعل إنساني مقيّد بالحدود الطبيعية والمادّية، وأنّ أيّ تجاوز لهذه الحدود يتطلّب حكمةً ورؤيةً واضحةً لتجنّب الضرر والإسراف. وبالتالي يشجّع هذا الفهم على تطوير العلوم والفنون بطريقة مسؤولة، مع الاستفادة القصوى من الإمكانات البشرية، والاعتراف دائمًا بالفضل الإلهي في كلّ نجاح وإنجاز.

في النهاية يشكّل المبحث الأوّل مدخلًا أساسيًّا لفهم طبيعة الصنع الإنساني المحدود؛ إذ تعود قدرة الإنسان على الصنع إلى الله تعالى؛ لعدم استقلاله في الإيجاد والإبداع، بل كون فعله قائمًا في إطار قدرة الله وعلمه المطلق. وفهم موقع الإنسان بين المادّة والقدرة، وبين الممكن واللاممكن، وبين الطموح البشري والقدرة الإلهية المطلقة، وهو ما يشكّل قاعدةً فلسفيةً وأخلاقيةً للبحث في الفكر الإسلامي والفلسفة الكونية.

## المبحث الثاني: مفهوم الخالق والخلق الإلهي

يعدّ مفهوم الخالق والخلق من أهمّ المفاهيم الأساسية في الفلسفة الإسلامية وعلم الكلام؛ لما له من أثر مباشر في فهم طبيعة الوجود وعلاقة الإنسان بالله وبالعالم من حوله. الخالق هو الكائن الذي يخلق من العدم، أي الذي لا يحتاج إلى مادّة موجودة مسبقًا أو سبب خارجي، ويبتكر وجودًا جديدًا مستقلًّا عن أيّ شيء سابق. في حين يشير الخلق إلى الفعل الإلهي نفسه، الذي يتمثّل في إيجاد الموجودات من عدم، مع القدرة على منحها الصفات والوظائف المتنوّعة التي تحقّق نظام الكون وكماله. هذا الفهم يعكس بعدًا عميقًا في النظرية الفلسفية؛ إذ لا يمكن إدراك المعنى الحقيقي للخلق دون الاعتراف باستقلالية الفعل الإلهي وقدرته المطلقة على التغيير والإيجاد والتسيير، وهذا ما يميّز الخالق عن أيّ صانع بشري، مهما بلغت قدراته أو خبراته.

الخلق عند الفلاسفة المسلمين ليس مجرّد فعل لحظي أو حادثة زمنية ماضية، بل هو علاقة وجودية مستمرّة بين الله والعالم. فالكون قائم ومتّصل بوجود الله في كلّ لحظة، ويعكس هذا الترابط الدائم قدرة الله على الإبداع المستمرّ، فهو لا يخلق مرّةً واحدةً، ثمّ يترك العالم يسير

وفق قوانينه الخاصّة فحسب، بل يُحافظ على انتظامه واستمراريته، ما يجعل الخلق عمليةً دائمةً ومستقلّةً عن الزمان والمكان. ومن هنا يُبرز الفرق العميق بين الخلق الإلهي والصنع البشري، فالصانع البشري مرتبط بالزمن والموادّ والوسائل والقدرات المحدودة، بينما الخالق فاعل مطلق، لا تقيّده حدود أو قيود مادّية أو زمنية. يقول الفارابي: «الموجود الأوّل هو السبب الأوّل لوجود سائر الموجودات كلّها، وهو بريء من جميع أنحاء النقص، وكلّ ما سواه فليس يخلو من أن يكون فيه شيء من أنحاء النقص، إمّا واحدًا وإمّا أكثر من واحد. وأمّا الأوّل فهو خلو من أنحائها كلّها، فوجوده أفضل الوجود، وأقدم الوجود، ولا يمكن أن يكون وجود أفضل ولا أقدم من وجوده. وهو من فضيلة الوجود في أعلى أنحائه، ومن كمال الوجود في أرفع المراتب؛ ولذلك لا يمكن أن يشوب وجودَه وجوهرَه عدمٌ أصلًا. والعدم والضدّ لا يكونان إلّا فيما دون فلك القمر، والعدم هو لا وجود ما شأنه أن يوجد» [الفارابي، آراء المدينة الفاضلة ومضادّاتها، ص 7].

تقرّر الفلسفة الإسلامية، كما عند الفارابي وابن سينا وصدر الدين الشيرازي أنّ الخالق هو العلة الأولى التي يفيض عنها الوجود، وأنّ الممكنات قائمة به قيام فقر واحتياج، وأنّ الصانع الإنساني لا يخلق وجودًا بل يُخرج الشيء من القوّة إلى الفعل ضمن حدود المادّة والاستعداد. وقد تقدّم بيان ذلك عند ابن سينا؛ إذ فصّل القول في الإبداع والصنع، كما قرّر الفارابي في آراء أهل المدينة الفاضلة أنّ الأوّل سبب لوجود سائر الموجودات، وأنّ وجودها فائض عنه؛ لذلك لا تعدّ دراسة مفهوم الخلق مجرّد مسألة معرفية، بل تمتدّ لتكون توجيهًا أخلاقيًّا وفكريًّا؛ إذ تجعل الإنسان واعيًا بمحدوديته، وتحثّه على التواضع أمام القدرة الإلهية، مع الاستفادة القصوى من قدراته المحدودة في تحقيق الإبداع الممكن.

يتميّز الخلق الإلهي بعدّة خصائص تميّزه عن الصنع البشري، فهو فعل مستقلّ بذاته، لا يحتاج إلى أيّ سبب أو مادّة، ويتميّز بالقدرة المطلقة والإبداع الفريد الذي لا يمكن محاكاته. هذا الفعل الإلهي يشمل خلق كلّ شيء من عدم، سواء كان الكون المادّي أو الظواهر الطبيعية أو الموجودات المعنوية، ممّا يدلّ على اتّساع قدرة الله وشمول حكمته. فالله يخلق الكون بقوانين متقنة تنظّم حركة الموجودات وتضمن استمرارها واستقرارها، وهو ما يوضّح أنّ الخلق ليس مجرّد إيجاد للشيء فحسب، بل هو خلق نظام متكامل يحقّق الغاية والوظيفة لكلّ موجود.

عند التأمّل في طبيعة الخلق، يتّضح أنّ كلّ موجود في العالم له غاية ووظيفة محدّدة، وأنّ هذا النظام المتكامل يعكس حكمة الله وعلمه الكامل. فالخلق ليس عشوائيًّا أو محدودًا بالموادّ المتاحة،

بل هو عمل متقن يعكس الكمال الإلهي، ويظهر العلاقة المتينة بين الخالق وخلقه. ومن هنا تأتي أهمّية إدراك الإنسان لهذا الفرق، فهو يجعل الفرد أكثر وعيًا بمسؤوليته تجاه ما يمتلكه من معرفة وموارد، ويحفّزه على استخدام قدراته المحدودة في خدمة الخير العامّ، دون محاولة تجاوز حدود الممكن البشري، أو التهوّر في تقدير الذات.

تقدّم الفلسفة الإسلامية إطارًا متوازنًا يجمع بين العقل والوحي والمعرفة والأخلاق، ممّا يسمح بفهم أعمق لمعنى الخلق ودوره في تنظيم الكون والحياة الإنسانية. فالخلق الإلهي يُظهر قدرة الله المطلقة ويؤكّد وحدة الخلق وتناسقه، بينما الصنع البشري يظلّ ضمن حدود مادّية وزمنية، ما يعكس الفرق بين القدرة المطلقة والقدرة المحدودة، وبين الإبداع اللامحدود والإبداع الممكن. هذا الفهم العميق يتيح للإنسان تطوير وعيه بحدوده، ويمنعه من الغلوّ في تقدير قدراته، ويجعله أكثر تواضعًا واستعدادًا للاستفادة من الموارد المتاحة بحكمة، بما يتّفق مع المبادئ الأخلاقية والفلسفية.

إنّ إدراك مفهوم الخالق والخلق يؤثّر بشكل مباشر على التفكير العلمي والفلسفي للإنسان، فهو يضع حدودًا للعلم والإبداع، ويعلم الإنسان أنّ أيّ فعل إبداعي يقوم به يجب أن يكون ضمن الإمكانيات المادّية والمعرفية المتاحة، مع تقدير الاعتماد المطلق على الخالق في كلّ لحظة من وجوده. كما أنّ فهم الخلق يعزّز المسؤولية الأخلاقية تجاه الكون والموارد والبيئة، ويشجّع على توجيه العلوم والتقنيات نحو ما يحقّق الخير العامّ ويمنع الضرر. هذا الفهم العميق للخالق والخلق يربط بين المعرفة والفعل، بين النظرية والتطبيق، ويجعل الإنسان واعيًا بدوره في استغلال إمكانياته المحدودة بما ينسجم مع النظام الكوني والإرادة الإلهية.

في النهاية، يظهر من خلال هذا المبحث أنّ الخالق فاعل مطلق، والخلق عملية مستمرّة ومتقنة، وهو يختلف تمامًا عن الصانع البشري وفعل الصنع. الفهم الصحيح لهذا المفهوم يرفع من وعي الإنسان بحدوده، ويؤسّس للتوازن بين الطموح الإنساني والإبداع الممكن والاعتماد على القدرة الإلهية، ويعزّز الشعور بالمسؤولية تجاه المعرفة والموارد والنتائج. ومن هنا يصبح إدراك الفرق بين الخلق الإلهي والصنع البشري جزءًا أساسيًّا من الفكر الفلسفي الإسلامي، الذي يسعى لتقديم رؤية متكاملة للوجود والعلاقة بين الإنسان والخالق والعالم المحيط به.

## المبحث الثالث: العلاقة بين الصانع والخالق

تعدّ العلاقة بين الصانع والخالق من أهمّ المفاهيم التي يدرسها الفكر الفلسفي الإسلامي؛ لأنّها تشكّل إطارًا لفهم الإنسان لمكانه في الكون وطبيعة فعله الإبداعي مقارنة بالإبداع الإلهي. فالإنسان، باعتباره صانعًا محدودًا، يمارس فعل الصنع ضمن إطار الموادّ المتاحة والمعرفة المكتسبة والخبرة العملية، ويعتمد على ترتيب الموجودات وتحويلها لتحقيق غايات محدّدة. بينما الخالق فاعل مطلق، قادر على الإيجاد من العدم، وخلق الموجودات وتنظيمها وفق نظام دقيق ومتقن، مستقل عن أيّ قيود زمنية أو مادّية، ممّا يجعل الفعل الإلهي فريدًا ومطلقًا ومتجدّدًا في كلّ لحظة.

عند دراسة هذه العلاقة، يتّضح أنّ الصانع البشري مهما بلغت مهاراته وخبراته، يظلّ محدودًا بالموارد والوسائل المتاحة أمامه. فهو يقوم بترتيب الموادّ وتحويلها إلى أشياء جديدة تحمل وظيفةً أو شكلًا مختلفًا، لكنّه مرتبط بالحدود المادّية والزمنية والمعرفية. فعلى سبيل المثال، النحّات يستخدم الحجر أو الخشب ويحوّله إلى تمثال، لكنّ المادّة الأساسية موجودة مسبقًا، والقدرة على الإبداع محدودة بمهارته وخبرته. وبالمثل، في الصناعات الحديثة مثل الإلكترونيات أو بناء السيّارات، يعتمد الإنسان على المعرفة العلمية والمهارات التقنية، لكنّ كلّ هذه العملية تظلّ ضمن نطاق الموادّ والموارد المتاحة.

أمّا الخالق، فهو يبتكر الموجودات من عدم، ويمنحها الصفات والوظائف المتنوّعة وفق حكمته المطلقة، ممّا يجعل الفعل الإلهي مستقلًّا بذاته وغير مقيّد بأيّ ظرف أو سبب مسبق. فالخلق الإلهي ليس مجرّد ترتيب للموادّ، بل هو إيجاد كامل ومستقلّ عن أيّ وجود مسبق، وهو ما يميّزه عن أيّ فعل بشري. فالله تعالى يخلق الكائنات ويحدّد نظامها وقوانينها الدقيقة، ويضمن استمرار الكون وفق حكمة متكاملة، ممّا يعكس القدرة المطلقة على التنظيم والإبداع المستمرّ. ذكر الأستاذ مرتضى مطهري دليلًا مستفادًا من الآية الكريمة التي ميّز بين برهان الخالق وبرهان الهداية بقوله: «عندما يقول الله تبارك وتعالى: ﴿**رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى**﴾، فهو يثبت أنّ وجود كلّ شيء مرتبط بإرادة الخالق أوّلًا، وأنّ الخلق ليس مجرّد ترتيب الموادّ، بل وجود واقع الوجود ذاته. الموجودات لا تحصل على وجودها إلّا من الفاعل الأعظم، وجود الكائنات ليس إعادة ترتيب لمادّة موجودة مسبقًا، بل إيجاد من العدم الماهوي، الصفات والوظائف المحدّدة للكائنات ليست نتيجةً فيزيقيةً بحتةً، بل إرادة وحكمة خالقة. كما تفيد كلمة "ثمّ هدى" في ذات الآية أنّ الخلق الإلهي يلزم نظامًا وتوجيهًا دقيقًا بعد الإيجاد، وهو ما يعكس قدرة الله المطلقة على تنظيم الكون وتحديد وظائف الكائنات. فوجود قوانين الطبيعة وتناسقها لا يمكن أن يكون إلّا من فاعل عليٍّ عقلاني حكيم، لا مجرّد ترتيب مادّي» [مطهري، التوحيد، ص 148].

يؤكّد الأستاذ مطهري باستدلاله على الدلالة القرآنية للآية الكريمة: ﴿رَبُّنَا الَّذِي أَعْطَى كُلَّ شَيْءٍ خَلْقَهُ ثُمَّ هَدَى﴾ [سورة طه: 50].

في موضعين اثنين:

1- برهان الخلق الوجودي: إذ يبيّن أنّ الخلق لا يختزل إلى ترتيب الموادّ، بل إيجاد وجودٍ مستقلٍّ بذاته من قبل فاعلٍ عليٍّ.

2- برهان الهداية: حيث يشير إلى أنّ كلمة "ثمّ هدى" تدلّ على أنّ الخالق لا يترك الموجودات مجرّد وجود جامد، بل يوجّهها نحو نظمها ووظائفها الدقيقة وفق حكمة مطلقة، وهو ما لا يمكن أن تقوم به القدرة البشرية المحدودة.

بهذا المعنى، تكون: الفعل الإلهي إبداعًا مستقلًّا بقدرته الوجودية، مقابل الفعل البشري صناعة محدودة بالموادّ والمهارات، وهذا هو جوهر الفرق بين الإبداع الإلهي والصنعة البشرية.

[انظر: مطهري، التوحيد، ص 230]

العلاقة بين الصانع والخالق تحمل بعدًا فلسفيًّا وأخلاقيًّا عميقًا. إدراك هذا الفرق يجعل الإنسان أكثر وعيًا بمحدودية قدراته، ويحثّه على التواضع أمام القدرة الإلهية، والاعتراف بحدود ما يستطيع تحقيقه. كما يشجّع على استخدام المعرفة والمهارات والموارد المتاحة بحكمة ومسؤولية لخدمة الخير العامّ، سواء في المجال العلمي أو الصناعي أو الفنّي. فالوعي بهذا الاختلاف يمنع الغلوّ في تقدير القدرة الإنسانية، ويمنع السعي لمحاكاة القدرة الإلهية، وهو ما يعزّز شعور الإنسان بالمسؤولية تجاه النتائج التي يحقّقها والموارد التي يستخدمها.

يمكن تلخيص الفروقات الجوهرية بين الخلق الإلهي والصنع البشري كما يلي:

| الخاصّية | الخلق الإلهي | الصنع البشري |
|---|---|---|
| المصدر | العدم الذاتي | موجودات مسبقة |
| القدرة | مطلقة وغير محدودة | محدودة بالموادّ والمهارة |
| الاستقلالية | مستقلّة تمامًا | تعتمد على الموادّ والوسائل |
| الإبداع | إيجاد وجود جديد بالكامل | ترتيب الموجودات وتحويلها |
| القابلية للتكرار | فريد وغير قابل للتكرار | قابل للتكرار إذا توفّرت الشروط |

توضّح هذه المقارنة أنّ الخلق الإلهي متفرّد في قدرته واستقلاليته، بينما الصنع البشري محدود ويعتمد على الموارد المتاحة والمهارات المكتسبة. وبناءً على هذا الفهم، يصبح الإنسان مدركًا للحدود الطبيعية لقدراته، وواعيًا بأنّ الإبداع البشري يجب أن يظلّ ضمن الإمكانيات المادّية والمعرفية المتاحة، مع استحضار الاعتماد الكامل على الخالق في كلّ فعل. قال الطهراني: «إدراك الفرق بين القدرة البشرية المحدودة والقدرة الإلهية المطلقة يساعد الإنسان على وضع حدود واضحة لإبداعه، ويجعله واعيًا بمسؤوليته تجاه الموارد والنتائج» [الطهراني، مباحث في الفلسفة الإسلامية، ص 132].

إدراك العلاقة بين الصانع والخالق يساهم في توجيه الإنسان نحو وعي فلسفي شامل بموقعه في الكون، فالإنسان لا يعيش بمعزل عن هذه الحدود، بل يجب أن يوازن بين طموحه وقدراته وبين الاعتماد على القدرة الإلهية. ويظهر هذا التوازن بوضوح في مجالات العلوم والفنون والصناعة؛ إذ يجب على الإنسان توظيف مهاراته ومعرفته لتحقيق أهداف مفيدة دون محاولة تجاوز حدود إمكاناته. فعلى سبيل المثال، تطوير تقنية حديثة يحتاج إلى معرفة علمية ومهارة تطبيقية، لكنّه يظلّ مرتبطًا بالموارد والموادّ المتاحة، ووعيه بالقدرة الإلهية يعزّز منهجية الاستخدام المسؤول لهذه الموارد.

من الناحية الأخلاقية، يدعو إدراك هذه العلاقة الإنسان إلى الاعتدال والتواضع، والحرص على عدم استغلال قدراته في ممارسات ضارّة أو مفرطة. كما يعزّز احترام النظام الكوني والحكمة الإلهية في كلّ ما يقوم به من أفعال. فالفعل البشري، مهما كان متقنًا ومبدعًا، لا يمكن أن يصل إلى مستوى القدرة الإلهية المطلقة؛ ولذلك يجب أن يكون الإنسان دائمًا واعيًا بحدوده، ويسعى إلى تحقيق الخير العامّ ضمن ما هو ممكن. قال صدر الدين الشيرازي: «المعلول ليس له وجود وراء فعل علّته، بل وجوده عين فعلها متجلّيًا في الخارج، ومن ثمّ فهو محتاج إليها بالضرورة في جميع مراتبه» [الشيرازي، الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، ج 1، ص 352].

العلاقة بين الصانع والخالق لا تقتصر على الجانب النظري والفلسفي، بل تمتدّ لتؤثّر في حياة الإنسان العملية، فهي تشكّل أساسًا للتفكير النقدي في كيفية استخدام المعرفة والمهارة، وتنظيم الطموح البشري ضمن حدود الواقع المادّي والمعرفي. كما أنّها تؤكّد أنّ الاعتماد على الله ﷻ عنصر أساسي لتحقيق الفعل الإنساني الصحيح، وأنّ أيّ نجاح أو إبداع بشري هو في النهاية مدعوم بالقدرة الإلهية، سواء في التوفيق أو في الموارد أو في الإلهام. يعمّق إدراك هذه العلاقة فهم الإنسان لمكانته في الكون، ويحدّد نطاق مسؤوليته الأخلاقية تجاه ما يمتلكه من معرفة وموارد. كما أنّه يوفّر إطارًا فلسفيًّا لتوجيه الجهود البشرية نحو الخير العامّ، دون الغلوّ في تقدير الذات، ويحفّز على ممارسة

الإبـداع ضمـن حـدود الممكن، مع احترام النظـام الكوني والحكمـة الإلهية. فالوعي بهـذه العلاقة يمكن أن يكـون قاعـدةً لتوجيـه النشـاط البشري نحو التـوازن بين الطموح الإنسـاني والإبـداع الممكن، وبين المعرفـة الجزئيـة والقـدرة المطلقـة، وبين القـدرة المحـدودة والقدرة الإلهيـة الخلّاقة.

في النهايـة، يظهـر أنّ العلاقة بين الصانع والخالق ليسـت مجرّد مسـألة نظرية، بل هي أسـاس للفهم الفلسـفي والأخـلاقي للوجـود، وتؤسّـس لوعي إنسـاني متـوازن يربط بـين القـدرة المحـدودة والإبداع الممكـن، وبـين القـدرة المطلقة والخلّاقة الإلهيـة، ممّا يجعل الإنسـان أكثر اسـتعدادًا لتوظيف مهاراته ومعرفتـه بمـا يخـدم الخـير العـامّ ويحقّق التـوازن مـع الطبيعـة والكون. قـال ابـن سـينا: «لأنّ الخالق فعلـه الإيجـاد مـن العـدم، وفعله عين وجـود الـشيء، فالشيء قائـم به قيام فقـر وربط، ولا يسـتغني عنـه لحظـةً واحـدةً، أمّـا الصانع فـلا يخلق مـن العدم، بل يغـيّر صـورةً موجـودةً سـابقًا، ففعله ليس عـين وجـود المصنـوع، بل تصرّف في مادّة موجـودة» [ابـن سـينا، الشـفاء - الإلهيات، ص 50]. إدراك هذه العلاقة يوجّـه الفكـر البـشري نحو التواضـع والاعتـدال، ويؤكّد المسـؤولية الفرديـة والجماعية، ويسـاعد على صياغـة فهـم متكامل للوجود الإنسـاني في ضوء الفلسـفة الإسـلامية.

خلاصـة الـكلام: المعلول ليس له وجود وراء فعـل علّته، بل وجوده عين فعلهـا متجلّيًا في الخارج، ومـن ثـمّ فهـو محتاج إليهـا بالـضرورة في جميـع مراتبه، حـتّى مع افـتراض وجوب وجـوده بالغـير؛ لأنّ هـذا الوجـوب لا يخرجـه عن مقـام الفقـر، وإنّما يسـقط الحاجـة إلى العلّـة الإعدادية التي لا شـأن لها إلّا الإعـداد دون الإيجاد.

لأنّ الخالـق فعلـه الإيجـاد مـن العدم وفعلـه عين وجود الـشيء، فالشيء قائـم به قيام فقـر وربط، ولا يسـتغني عنـه لحظـةً واحـدةً، أمّـا الصانع فلا يخلـق من العـدم كما تبيّن، بـل يغيّر صـورةً موجودةً سـابقًا، ففعلـه ليـس عين وجود المصنـوع، بل تـصرّف في مادّة موجـودة، والمصنوع بعـد صنعه يمكن أن يسـتغني عنه.

## المبحث الرابع: دور الصانع والخالق في تنظيم الكون وفهم الإنسان لذاته

تُعـد دراسـة دور الصانـع والخالـق في تنظيـم الكـون وفهـم الإنسـان لذاتـه مـن أبـرز الموضـوعات الفلسـفية العميقـة؛ لمـا لهـا مـن أثر مبـاشر في إدراك حـدود الإنسـان وإمكاناتـه، وتحديد مسـؤوليته الأخلاقيـة والمعرفيـة. فالصانـع البـشري، مهمـا بلـغ مـن مهـارة أو معرفـة، يظـلّ مرتبطًـا بالمـوادّ والوسـائل المتاحـة له، ويعمـل ضمـن إطار الممكـن البشري المحـدود. أمّـا الخالق الإلهي، فهـو الفاعل

المطلق القادر على الإيجاد من العدم، وابتكار الموجودات بما يشاء، دون أيّ حاجة لمادّة أو سبب مسبق، مع القدرة على وضع قوانين الكون وتنظيمه بشكل متقن يضمن استمرارية الموجودات واستقرارها. هذا الفارق العميق بين القدرة البشرية المحدودة والقدرة الإلهية المطلقة يمثّل أساسًا لفهم موقع الإنسان في الكون وعلاقته بالمصدر المطلق للوجود، ويوضّح له الفرق بين الإبداع الممكن والإبداع الكامل.

عندما يتأمّل الإنسان في قدرته على الصنع، يدرك أنّ كلّ فعل يقوم به يحتاج إلى موارد محدودة، ومهارة مكتسبة، وتجربة مستمرّة. فالإنسان قادر على إنتاج أدوات جديدة، أو تطوير تقنيات، أو ابتكار أعمال فنّية، لكنّه يظلّ دائمًا مقيّدًا بالموادّ المتاحة والظروف المحيطة به. بالمقابل، الخالق لا يقيّده شيء، فهو يخلق من العدم، ويصنع القوانين التي تحكم حركة النجوم والكواكب، ويضع النظام الدقيق لكلّ مخلوق بحيث يحقّق غايته ووظيفته الكاملة. قال ابن سينا: «الفعل البشري مرتبط بالقدرة الجزئية والمعرفة الجزئية، فلا يمكن للممكن أن يخلق أو يبدع إلّا ضمن حدود الموارد والوسائل، على عكس الفعل الإلهي الذي يشمل جميع الموجودات ويحقّق الغاية الكاملة» [المصدر السابق، ص 7]. إدراك هذا الفارق يجعل الإنسان واعيًا بمحدودية إمكانياته، ويحثّه على التواضع أمام القدرة الإلهية، مع تحفيزه على الاستفادة القصوى من الموارد والمعرفة المتاحة، دون الغلوّ في تقدير ذاته.

العلاقة بين الصانع والخالق لا تقتصر على المقارنة بين القدرة المحدودة والقدرة المطلقة، بل تمتدّ لتشمل بعدًا فلسفيًّا أخلاقيًّا مهمًّا. فإدراك الإنسان لحدود قدراته يجعله أكثر حرصًا على استخدام معرفته ومهاراته بحكمة، وتوجيه جهوده نحو الخير، وعدم استغلال الموارد بطريقة مضرّة. كما أنّ هذا الفهم يعزّز وعيه بالاعتماد المطلق على الخالق في كلّ خطوة من خطواته، ويضع الإبداع البشري ضمن إطار منضبط يتوافق مع النظام الكوني، ويمنع التهوّر في تقدير الذات أو السعي وراء محاكاة القدرة الإلهية.

من الناحية المعرفية، يظهر أنّ الفعل البشري مرتبط دائمًا بالقدرة على الإحاطة الجزئية، فلا يمكن للصانع أن يدرك كلّ عناصر المادّة أو كلّ تأثيراتها، بينما الفعل الإلهي شامل وكامل، يشمل جميع الموجودات من حيث الغاية والوظيفة والقوانين المنظمة. هذا التفاوت بين المعرفة الجزئية والإحاطة الشاملة يجعل من فهم العلاقة بين الصانع والخالق أساسًا للتوجيه الصحيح للإبداع البشري؛ إذ يصبح الإبداع البشري وسيلةً لاكتشاف حدود الإمكان، والتأمّل في قدرة الله ﷻ وحكمته، وليس وسيلةً لتقليد القدرة المطلقة.

كما أنّ هذه العلاقة تحمل بعدًا عمليًّا؛ إذ يمكن ملاحظة أثر إدراك الإنسان للفارق بين الصانع والخالق في سلوكه اليومي وفي إدارته للموارد. فالمسؤولية تجاه ما يمتلكه الفرد من معرفة ووقت ومهارة تكون مستمدّةً من فهم محدودية قدراته، فيحاول الإنسان أن يعمل ضمن حدود الممكن، ويبتكر حلولًا واقعيةً للمشكلات، مع الالتزام بالقيم الأخلاقية والفكرية، دون محاولة تخطّي الحدود التي وضعها الخالق للقدرة البشرية. وهذا يعكس فلسفةً متوازنةً تجمع بين الطموح البشري والتواضع أمام القدرة الإلهية، وتؤكّد أنّ أيّ فعل بشري ناجح يجب أن يكون متوافقًا مع النظام الكوني والمعايير الأخلاقية العليا.

كما يمكن توسيع النظر إلى العلاقة بين الصانع والخالق على مستوى المجتمعات البشرية. فالمجتمع الذي يعي الفارق بين القدرة البشرية المحدودة والقدرة الإلهية المطلقة يكون أكثر حكمة في توجيه التقنية، وتنمية العلوم، وإدارة الموارد، بحيث تصبح المعرفة أداةً لخدمة الخير العامّ، دون إساءة أو استغلال مفرط للطبيعة أو للبشر الآخرين. إنّ هذا الإدراك يعمّق مفهوم المسؤولية الجماعية، ويحفّز على تنظيم الجهود الإنسانية ضمن إطار متوازن يضمن الاستمرارية والتقدّم مع الحفاظ على القيم الأخلاقية والبيئية.

من الناحية الفلسفية، يمكن القول إنّ العلاقة بين الصانع والخالق توفّر للإنسان أرضيةً لفهم النظام الكوني بشكل متكامل، فهي تربط بين النظرية والتطبيق، وبين المعرفة والفعل، وبين الطموح والحدود، وتؤكّد أنّ أيّ إبداع بشري يجب أن يكون ضمن الممكن، مع إدراك أنّ القدرة المطلقة للإبداع والخلق تعود إلى الخالق وحده. هذا الإدراك يجعل الإنسان أكثر وعيًا بمكانه بين القدرة المحدودة والقدرة المطلقة، ويمنحه منظورًا فلسفيًّا عميقًا لإدارة حياته ومعرفته وموارده بما يتوافق مع النظام الكوني والإرادة الإلهية.

في الختام، يظهر أنّ فهم دور الصانع والخالق ليس مجرّد مسألة معرفية نظرية، بل هو أساس فلسفي وأخلاقي لتوجيه الإنسان نحو ممارسة الإبداع بشكل مسؤول وواعٍ. إنّ إدراك الفرق بين القدرة البشرية المحدودة والقدرة الإلهية المطلقة، وبين الإبداع الممكن والإبداع الكامل، يعزّز التوازن بين الطموح الإنساني والتواضع أمام الخالق، ويتيح للإنسان تطوير مهاراته ومعرفته ضمن حدود ممكنة، بما يخدم الخير العامّ ويحافظ على النظام الكوني والأخلاقي، ويؤكّد أهمّية الاعتماد المطلق على القدرة الإلهية في كلّ فعل. قال صدر الدين الشيرازي: «وجود الموجودات الممكنة هو وجود فقري / اعتماد وجودي على الوجود المطلق؛ لذا فالسبب الحقيقي لاحتياج الممكن للعلّة ليس الحدوث الزمني بل

اعتماد الموجود نفسه على الوجود المطلق» [الشيرازي، الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، ج 1، ص 350]. ومن هنا يصبح فهم العلاقة بين الصانع والخالق جزءًا أساسيًّا من الفكر الفلسفي الإسلامي، الذي يسعى لتقديم رؤية متكاملة للوجود، ولإرشاد الإنسان نحو ممارسة الإبداع ضمن إطار عقلاني وأخلاقي متوازن، مستفيدًا من قدراته المحدودة ومتوجّهًا بالاعتماد الكامل على الخالق.

## المبحث الخامس: التطبيقات الأخلاقية والفلسفية وحقّ الطاعة وشكر المنعم

بعد أن تناول البحث في المباحث السابقة دراسة الصانع والصنع، والخالق والخلق الإلهي، والعلاقة بينهما، ودورهما في تنظيم الكون وفهم الإنسان لذاته، يظهر لنا أنّ للجانب العملي والأخلاقي لهذه المفاهيم أثرًا بالغًا في حياة الإنسان اليومية والفكرية. فإدراك الفروق بين القدرة البشرية المحدودة والقدرة الإلهية المطلقة، وبين الصنع الإنساني والخلق الإلهي، لا يقتصر على الجانب النظري، بل يمتدّ ليشمل حقّ الطاعة لله وشكر المنعم على ما وهب للإنسان من قدرات ومعرفة وموارد؛ باعتبارها قاعدةً أساسيةً للفعل الأخلاقي والتوازن الروحي والفكري.

أوّلًا: حقّ الطاعة يظهر جليًّا من خلال فهم الإنسان لمكانته في الكون وموقعه كصانع محدود ضمن نظام الخلق الإلهي. فالإدراك بأنّ الإنسان لا يملك القدرة على الإبداع المطلق، وأنّ جميع الموارد والقدرات العقلية والمهاراتية التي يمتلكها هي عطاء من الله، يحتّم عليه التزام الطاعة للقوانين الإلهية والأوامر التي تهدف لتنظيم حياته ومجتمعه. قال ابن القيّم الجوزية: «حقّ الله على عباده أن يطيعوه في أمره ونهيه، وأن يشكروا نعمه الظاهرة والباطنة، فإنّ الطاعة والشكر طريق القرب منه، ومفتاح لطاعة القلب وعمله» [ابن القيّم، مدارج السالكين في منازل السائرين الى ربّ العالمين، ص45]. فالطاعة هنا ليست مجرّد التزام ديني شكلي، بل هي تعبير عن الوعي بحدود القدرة الإنسانية واحترام المنظومة الكونية التي وضعها الخالق. فالإنسان الذي يفهم الفارق بين الصانع والخالق يكون أكثر قدرةً على توظيف مهاراته في الإبداع ضمن الإطار المسموح، دون تجاوز الحدود المادّية والمعرفية أو العبث بالنظام الكوني.

ثانيًا: يرتبط هذا الوعي مباشرةً بشكر المنعم، فالمعرفة بأنّ جميع القدرات البشرية ـ مهما بلغت ـ هي نتيجة لطف الله وفضله، تجعل الشكر فعلًا ضروريًّا، لا مجرّد عرفان لفظي. فالشكر يظهر في الاستفادة الحكيمة من المعرفة والموارد، وفي توظيف الإبداع البشري لخدمة الخير العامّ، والحفاظ على الطبيعة والمجتمع، وعدم إساءة استخدام ما منح الله من قدرات؛ وعليه فإنّ شكر المنعم لا يقتصر على الامتنان النفسي، بل يتجسّد في الأفعال العملية والجهود البشرية المبذولة بطريقة مسؤولة وعادلة، سواء في العلم أو الصناعة أو الفنّ أو الحياة الاجتماعية اليومية.

هذا المبحث يؤكّد أنّ إدراك العلاقة بين الصانع والخالق يخلق توازنًا أساسيًّا بين الطموح البشري والاعتماد على الله ﷻ. فالإنسان يسعى للإبداع والابتكار، لكنّه مدرك أنّ هذا الإبداع محدود، وأنّ التوفيق وتحقيق النتائج المرجوّة يعتمد على عون الله وتوفيقه. ويظهر هذا التوازن أيضًا في ضرورة الاعتراف بالفضل الإلهي في كلّ نجاح بشري، وعدم الغرور بما يحقّق الإنسان من إنجازات، مهما بلغت من التعقيد أو الأهمّية.

على المستوى الأخلاقي، فإنّ فهم حقّ الطاعة وشكر المنعم يعزّز المسؤولية الفردية والجماعية. فالإنسان الذي يعي حدوده ومسؤولياته يكون أكثر حرصًا على احترام الآخرين، وعدم إساءة استخدام الموارد الطبيعية أو البشرية، والسعي لتحقيق المنفعة العامّة. ويصبح العلم والفنّ والإبداع أدواتٍ لتحقيق الخير، وليس مجرّد وسيلة للتباهي أو التفوّق على الآخرين. كما أنّ هذا الوعي يشجع على التواضع والتقدير للقدرة الإلهية في كلّ فعل بشري، ويحوّل المعرفة والمهارة إلى أدوات لخدمة الحياة، وليس لإشباع الطموحات الأنانية.

من الناحية الفلسفية، يشير إدراك حقّ الطاعة وشكر المنعم إلى صلة الإنسان بمصدر الخلق، ويجعله أكثر قدرةً على فهم دوره في الكون. فالفكر الفلسفي الإسلامي يربط بين الوعي بالخلق الإلهي والإبداع البشري وبين الالتزام بالقيم الأخلاقية، بحيث يصبح الإنسان كائنًا واعيًا بمسؤولياته، متوازنًا بين قدراته المحدودة وإمكاناته، واعيًا بحدود المعرفة والقدرة، ومتّصلًا بخالقه في كلّ فعل يقوم به.

تطبيق هذه المفاهيم عمليًّا يظهر في عدّة مجالات:

1ـ في العلم والتقنية: يسعى العلماء والمهندسون لتحقيق الابتكار ضمن حدود الموارد والمعرفة المتاحة، مع الاعتراف بالاعتماد على الله في توفيقهم.

2ـ في الفنون والإبداع: يستخدم الفنّانون أدواتٍ موجودةً مسبقًا لإنتاج أعمال مبتكرة، مع وعي بمحدودية قدرتهم والاعتراف بالمصدر الإلهي للإلهام والمهارة.

3ـ في المجتمع والحياة اليومية: يدرك الإنسان مسؤولياته تجاه الآخرين والبيئة، ويعمل على تحسين الظروف الاجتماعية والاقتصادية دون إساءة استخدام الموارد.

وعليه، فإنّ إدراك العلاقة بين الصانع والخالق وحقّ الطاعة وشكر المنعم يحوّل المعرفة النظرية إلى وعي عملي وأخلاقي. فهو يربط بين النظرية والفعل، بين الفكر والواقع، ويضمن أن يكون الإنسان مبدعًا ومسؤولًا ومتوازنًا في سلوكه، مع التزامه بالقيم الأخلاقية والروحية. قال ابن سينا:

«الفعل البشري مرتبط بالقدرة الجزئية والمعرفة الجزئية، فلا يمكن للممكن أن يخلق أو يبدع إلّا ضمن حدود الموارد والوسائل، على عكس الفعل الإلهي الذي يشمل جميع الموجودات ويحقّق الغاية الكاملة» [ابن سينا، الشفاء - الإلهيات، ص 48].

في الختام، يظهر المبحث الخامس أنّ التمييز بين الصنع الإنساني والخلق الإلهي لا يقتصر على الجانب الفلسفي المعرفي، بل يمتدّ ليشمل البعد الأخلاقي والروحي والعملي في حياة الإنسان. فحقّ الطاعة وشكر المنعم يشكّلان إطارًا لضبط الفعل الإنساني، وتعزيز التوازن بين الطموح والقدرة، وبين المعرفة والاعتماد على الله، وبين الإبداع البشري والخلق الإلهي. إدراك هذه المفاهيم يسهم في تكوين وعي إنساني متكامل، يربط بين العقل والوحي والمعرفة والأخلاق، ويجعل الإنسان أكثر استعدادًا.

## الخاتمة

تظهر نتائج هذا البحث أنّ إدراك الفروق الجوهرية بين الخالق والخالق، والصانع والصنع، يشكّل حجر الزاوية في الفكر الفلسفي الإسلامي لفهم طبيعة الإنسان وعلاقته بالكون وبالله. فالفهم الصحيح لمفهوم الخالق يوضّح قدرة الله المطلقة على الإبداع المستمرّ من العدم، واستقلالية الفعل الإلهي عن المادّة والزمن والوسائل، بينما يبرز الصانع البشري محدودية قدراته واعتماده على الموارد والموادّ والمهارات المتاحة له، ممّا يجعل أيّ إبداع بشري مرتبطًا بالممكن والموادّ والظروف المحيطة. هذا التمييز ليس مجرّد مسألة معرفية، بل يمتدّ ليكون إطارًا أخلاقيًّا وفلسفيًّا يوجّه الإنسان نحو التواضع أمام القدرة الإلهية، ويحثّه على الاستخدام الحكيم للمعرفة والمهارات والموارد المحدودة بما يخدم الخير العامّ.

لقد أوضح البحث أنّ إدراك العلاقة بين الخالق والصانع يعمّق الوعي بالمسؤولية الإنسانية تجاه الموارد والبيئة والمجتمع، ويحدّ من الغلوّ في تقدير الذات أو محاولة محاكاة القدرة الإلهية. كما أنّه يوفّر إطارًا لفهم طبيعة الفعل الإنساني والإبداعي، والحدود الواقعية التي يجب على الإنسان احترامها عند ممارسة العلم والصناعة والفنّ، مع استحضار الاعتماد على الخالق في كلّ فعل. الفهم الصحيح لهذه العلاقة يمكن أن يكون قاعدةً لتوجيه النشاط البشري نحو التوازن بين الطموح الإنساني والإبداع الممكن، وبين المعرفة الجزئية والقدرة المطلقة، وبين القدرة المحدودة والقدرة الخلاقة الإلهية.

إنّ الفلسفة الإسلامية، من خلال هذا التمييز والتحليل، تقدّم رؤيةً متكاملةً للوجود، تجمع بين العقل والوحي والمعرفة والأخلاق، وتوضّح دور الإنسان في الحياة وعلاقته بالكون وبالقدرة الإلهية. هذا الفهم العميق يساعد على تطوير وعي الإنسان بمكانته ومسؤولياته، ويجعله أكثر استعدادًا للاستفادة من الإمكانات البشرية المتاحة ضمن حدود الممكن، مع احترام النظام الكوني والتسليم بالحكمة الإلهية، وتحقيق الخير العامّ.

في الختام، يخلص المبحث إلى أنّ إدراك الفرق بين الخلق الإلهي والصنع البشري وفهم العلاقة بين الصانع والخالق يعدّ أساسًا لفهم الفكر الفلسفي الإسلامي، ويتيح للإنسان ممارسة الإبداع بشكل مسؤول، مع الحفاظ على التواضع والوعي بأهمّية الاعتماد على القدرة الإلهية، وبالتالي يحقّق توازنًا بين الطموح والحدود، وبين المعرفة والقدرة، وبين الإنسان والخالق والعالم من حوله.

**قائمة المصادر**

القرآن الكريم.

ابن القيم الجوزية، محمد بن أبي بكر، مدارج السالكين في منازل السائرين إلى ربّ العالمين، دار إحياء التراث العربي للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، 1973 م.

ابن سينا، الحسين بن عبد الله، الإشارات والتنبيهات، نشر البلاغة، قم، 1393 ش.

ابن سينا، الحسين بن عبد الله، الشفاء ـ الإلهيات، الهيئة العامّة لشؤون المطابع الأميرية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1960 م.

الرازي، فخر الدين محمّد بن عمر بن الحسن بن الحسين التيمي، الأربعين في أصول الدين، مكتبة الكلّيات الأزهرية، القاهرة، الطبعة الأولى، 1986 م.

الطهراني، مهدي هادوي، مباحث في الفلسفة الإسلامية، المعهد العالي للعلوم والثقافة الإسلامية، قم، الطبعة الأولى، 1990 م.

الفارابي، محمد؛ آراء المدينة الفاضلة ومضادّاتها، مؤسّسة الهنداوي للتعليم والثقافة، مصر، 2012م.

الفارابي، محمد بن محمد، إحصاء العلوم، تحقيق: د. عثمان أمين، دار الفكر العربي، القاهرة، الطبعة الثانية، 1949 م.

مطهري، مرتضى، التوحيد، ترجمة: عرفان محمد، دار الحوراء للطباعة والنشر والتوزيع، بيروت، 1424 هـ.

الشيرازي، صدر الدين محمد بن إبراهيم، الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، دار المعارف الإسلامية، القاهرة، 1958 م.

الشيرازي، صدر الدين محمد بن إبراهيم، الحكمة المتعالية في الأسفار العقلية الأربعة، دار إحياء التراث العربي للطباعه والنشر والتوزيع، بيروت، الطبعة الأولى، 2002 م.